حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٥٠) ٢٠١٤/٠٧/٢٧ م | www.al-badeel.org | Issue (150) 27/07/2014

«داعش» والنظام فرصة لسورية «الجديدة»

حسام ميرو

على أرض الفرقة 17 في الرقة رؤوس لجنود نظاميين فصلها داعشيون عن أجسادها، والمنظر، على ما فيه من هول للناظر، فإنه حقيقي، وليس مشهداً من فيلم رعب، والقائمون على الفعل ليسوا ممثلين، كما أن الذين قطعت رؤوسهم لن يذهبوا بعد انتهاء التصوير إلى منتج الفيلم كي يقبضوا أجرهم.

الصور التي سُربت عن معتقلين قضوا تحت التعذيب في أقبية النظام السوري هم أيضاً ليسوا ممثلين، بل طالبي حرية، تحولوا تحت التعذيب والتجويع إلى مجرد جثث بلا لحم، فالعظام البارزة، والوجوه التي نهشها الجوع والألم كافية لقول هول المأساة التي تعرضوا لها.

النظام السوري لم يعترف بأن ما جرى في سورية هو انتفاضة شعبية أتت بعد عقود من الصمت الجماعي، ما عدا بعض النخب، والأحزاب الصغيرة، التي لم تتمكن من التأثير في واقعا ومجتمعها.

الإنكار، والمزيد من الإنكار، كان المبدأ الذي اتخذه النظام تجاه مطالب شعبية بالتغيير، وهو تغيير كان رأس النظام نفسه قد تحدث عن أهميته في خطاب القسم الأول، بعد وراثة سدة الحكم عن أبيه، وراح يماطل لأكثر من عقد، من دون أن يخطو بشكل جاد نحو التغيير، وما تغيّر هو الواقع السوري الذي بات أسوأ بكثير مما كان عليه لحظة استلام بشار الأسد للسلطة في عام 2000.

والسلطة، وحدها السلطة، بقيت الهم الأول والأخير للنظام، وهي، أي السلطة، من تستحق الدفاع عنها حتى آخر جندي أو ضابط سوري أو مدني، فهؤلاء بالنسبة له لا قيمة لهم، فالسلطة الاستبدادية لا ترى إلا نفسها، وترى إلى الناس بدلالة ولاءهم أو معارضتهم لها، وهي مستعدة بالتضحية حتى بمن يواليها، فعلى رقعة الشطرنج، كل القطع هي بيادق بالنسبة للملك، والمهم كسب اللعبة في نهاية المطاف، أي باختصار بقاء الملك، ولو وحيداً فوق جثث جنوده.

في المقابل، نبت "داعش" وترعرع في مناخ الاستعصاء السياسي، واستفاد التنظيم من أخطاء النظام والمعارضة على حد سواء، ومن صراع الأجندات والمصالح الإقليمية والدولية، مستعيداً حلم الخلافة الإسلامية، ولم يرَ ضيراً أن يمارس باسم الخلافة والدين أي سلوك حتى وإن كان منافياً للدين والعقل ولثقافة السوريين، مهما بدا منفراً للآخرين، فهو يمتلك اليوم القوة التي تؤهله لبسط نفوذه على مناطق واسعة، وفرض رؤيته لأنماط السلوك والحياة على السكان المحليين في الأماكن التي تقع تحت سيطرته.

النظام و "داعش" ينكران على السوريين حقهم في الحرية، وفي تقرير شكل النظام السياسي الذي يريدونه، ولا يجدا في الانتهاكات التي قاما بها ويستمران فيها أي خرق لأبسط مبادئ حق الحياة وكرامة والإنسان، ولا يعتبرا أنهما يقفان ضد التطور التاريخي للشعوب، حيث أثبتت كل تجارب القرن العشرين الشمولية أن احتكار السلطة والحقيقة هو قتل للتطور، واغتيال لدينامية الفرد والمجتمع، مهما بدا ذلك ممكناً في لحظة ما، لكن الاعتقاد بالقدرة على اعتقال التاريخ هو وهمٌ ما بعده وهم.

هل يستفيد السوريون من نموذجي النظام و "داعش"، ويحولون المعاناة من كليهما من كارثة ومأساة إلى فرصة لبناء سورية الجديدة،؟.

من دون أي شك أو وهم بأن الأمر ليس سهلاً، خاصة بعد كل ما ألمَّ بسوريا وشعبها وقواها الحية من قتل ودمار وتهجير وتخريب وتمزيق، لكن، البداية، يجب أن تكون من اتخاذ موقف مبدأي تجاه النظام و "داعش"، فالنظام ليس بديلاً عن "داعش"، ولا "داعش" حلاً لسوريا وشعبها ومستقبلها، وهو ما يجب أن تنبني عليه الاصطفافات السياسية الجديدة، وتحديد بوصلة النضال السياسي انطلاقاً منه.

سوريا اليوم أمام استبدادين، كلاهما لا يمثل ما أراده السوريون في انتفاضة آذار 2011، وكلاهما لا يشكل حلاً لمآسي السوريين، ولا مخرجاً من النفق الذي وصلنا إليه، وأبعد من ذلك، فهما مستعدان في لحظة ما لعقد اتفاق على ترسيم الحدود بينهما، بحيث يمارس كلٍ منهما الاستبداد والسلطة في المنطقة الخاضعة لنفوذه.

هل هناك من قوى ونخب قادرة على التقاط هذه اللحظة التي بات السوريون فيها بين مطرقة النظام وسندان "داعش"، وبناء تصور مختلف لطبيعة الصراع على سوريا وفي سوريا، واستنهاض خطاب جديد، واستراتيجية جديدة، تفتح الطريق أمام مشروع وطني جامع؟.

الوقائع قد تدفع إلى التشاؤم، لكن المهمة راهنة.

من قلب «داعش» : تنظيم «الدولة» لم يكن خيارنا لكنه الأقوى

■ خاص «البديل»:

كان عمر .ن، منذ فبراير/ شباط الماضي، منتمياً إلى أحد تشكيلات المعارضة المسلحة المقاتلة في ريف حلب، وكان الفصيل الذي يقاتل فيه قد سعى على مدار أشهر للحصول على دعم من الائتلاف الوطني، أو أية جهة أخرى، لكن من دون أي يصل أي دعم للمقاتلين، وبقيت الوعود مجرد كلام، وقال عمر: "لم يكن أمامي، وأظن الأمر نفسه بالنسبة لآخرين كثر، سوى الانضمام للدولة الإسلامية، لقد طلب قائد الفصيل الذي كنت أقاتل فيه الدعم من جهات كثيرة، وتواصل مع أشخاص في اسطنبول وغازي عنتاب، وحدثهم عن أوضاعنا بالتفصيل، وأخبرهم أنه لا يمكن لنا أن نقاتل إلى ما لا نهاية من دون دعم منتظم وثابت، وكانوا دائماً يحدثونه عن وعود، وكان بدوره ينقل تلك الوعود لنا، وفي كل مرة كانت تلك الوعود تتبخر... وصلنا إلى درجة اليأس".

وأضاف عمر: "لي قريب في "داعش"، وكان يتقاضى مرتباً ثابتاً، ولا تنقصهم الذخائر، وكنت على تواصل معه، وعلى الرغم من رفضي الدائم للقتال في صفوف "الدولة" إلا أنها أصبحت الخيار الوحيد، وهكذا تحولت من مقاتل في صفوف "الجيش الحر" إلى مقاتل في صفوف "داعش"، ومن يريد أن يلومني على ذلك عليه أن يلوم قبل ذلك "الكذابين" في المعارضة، وأصحاب الوعود الكاذبة".

وعمر .ن، ليس الوحيد الذي اضطرته الظروف الصعبة لفصائل المعارضة المسلحة لاختيار "داعش"، وربما، يمكن القول إن مثال عمر ينطبق على آخرين كثر، وهو ما أكده ل "البديل" محمد .س، وهو من أبناء محافظة إدلب، والذي انتقل إلى "داعش" بعد أن تنقّل في القتال بين فصائل عديدة، وحطت به الأقدار أخيراً في "الدولة الإسلامية"، وهو يعتبر ذلك قدراً، وليس اختياراً.

قال محمد: كنت من الذين خرجت في المظاهرات التي طالبت بالحرية ورحيل بشار الأسد، وكانت تلك "أحلى أيام الثورة"، ومع نشوء فصائل للجيش الحر، التحقت بإحداها، وقاتلت ضد قوات النظام، لكن معظم الفصائل التي قاتلت معها كانت تبدأ قوية، وبعد ذلك تأخذ في التراجع من حيث الإمكانيات، لقد عشت أيام من الجوع لا أنساها، ولم يكن من السهل أن أنتقل إلى صفوف "داعش"، خاصة مع السمعة التي رافقتها، لكن، الوضع على الأرض يفرض نفسه، فتنظيم "الدولة" ليس لديه مشكلات في السلاح والمال، كما أن الكل يخشى منه، وأنا مللت من الفصائل التي تتشكل ثم سرعان ما تذوب تحت ضغط الحاجة".

أبو البراء، عمره 28 عاماً، فقد زوجته وابنه الصغير (عامان) تحت قصف البراميل المتفجرة التي تلقيها طائرات النظام السوري على مدينة حلب، غادر لفترة وجيزة إلى تركيا باحثاً عن عمل، محاولاً نسيان أو تناسي مأساته، لكنه لم يجد عملاً ، فعاد ليلتحق بتنظيم "داعش"، وبقي مع التنظيم لمدة شهرين ثم غادره هارباً.

وعن سبب التحاقه ب "داعش" قال أبو البراء: "أغلقت كل الأبواب في وجهي، وكنت ناقماً على النظام السوري، وعلى المعارضة، وعلى الجيش الحر، وعلى الحياة كلها... وعلى الساعة التي ولدت فيها، التحقت بالتنظيم كي أنسى كل شيء، أردت الانتقام من كل شيء، وأردت أن أقوم بعملية انتحارية كي أموت.. هكذا فكرت، لكنني بعد التحاقي بداعش لم أجد ما أبحث عنه.. ".

ويضيف أبو البراء: في "داعش" قابلت الكثير من السوريين، وأنا أوكد أن معظمهم انتمى إلى التنظيم بعد أن قاتل مع الجيش الحر والفصائل الأخرى، لكن الخيارات أمامهم أصبحت شبه معدومة، خاصة أن الدعم كان يأتيهم بالقطارة، وليس هناك رواتب منتظمة، بينما تمتلك "داعش" ما لا يمتلكه الآخرون".

أما عن سبب عدم الاستمرار في "داعش" قال أبو البراء: "أنا متدين، لكني لا أفهم الدين أنه القتل.. صحيح أني فقدت عائلتي وأردت الانتقام لكني لم أستطع أن أكون بلا عقل، إنهم يفهمون الدين بطريقة تختلف عما تربينا عليه، والمقاتلون الأجانب في التنظيم بلا قلب وبلا عقل".

ويتابع أبو البراء: "أشعر بالضياع، أريد أن أغادر سوريا بلا رجعة، ولا أنصح أي أحد بالانضمام إلى "داعش"، وهم لا يمثلون الإسلام، ولا يختلفون عن النظام سوى بأنهم يرفعون راية لا إله إلا الله، لكن من يرفع هذه الراية يجب أن يتحلى بالضمير والأخلاق، وليس من الأخلاق أن تجز الرقاب وأنت تشعر بالسعادة".

وعن سبب انضمامه إلى "داعش" قال فالح. ع، وهو ينتمي إلى إحدى عشائر دير الزور :"انضممت إلى التنظيم بعد أن قاتلت في فصيل إسلامي آخر، وكنت نائباً لقائد الفصيل الذي علمت فيما بعد أن "داعش" هي من اغتالته، ولكن حين انضمامي كان الفصيل كله يعاني، وبعض من كانوا معي تورطوا في أعمال سرقة مبررين ذلك بأن ما من أحد يدعمنا، وللأسف كان ذلك صحيحاً، فعندما انضممت إلى الفصيل كان هناك دعم، وأخذ الدعم بالتناقص تدريجياً، وكان هناك دائماً وسطاء بيننا وبين الداعمين، لكن دائماً هناك شروط، وهناك وعود، وقد أصاب معظمنا اليأس، وقد تواصل معي عنصر من "داعش"، وعرض علي مبايعة التنظيم، وقد بايعت التنظيم مع آخرين، وأنا أقاتل معهم، وهم أشداء.. ".

ويضيف فالح: "سمعنا كثيراً عن إنشاء جيش وطني، وعن توحيد الفصائل، وعن الدعم، وعن السلاح النوعي، لكن تركونا لوحدنا في الميدان.. والكثير من القادة تحولوا إلى تجار.. لم يكن من خيار، إما أن أرمي السلاح، ولم يعد هناك حياة لأعود إليها، لقد دُمرت بيوتنا، وهاجرت عائلاتنا، فأتيت مثل غيري لأقاتل مع تنظيم الدولة الإسلامية".

الشرق الأوسط يغوص في الرمال وإيران ليست حلاً لأمريكا

د. ثيودور براموند - ترجمة وإعداد «البديل»:

جلبت الأسابيع والأشهر الماضية سيلاً من الكوارث بالنسبة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط على نطاق أوسع، و ما لم تغيّر إدارة أوباما سياساتها ، فإن الأشهر المقبلة سوف تجلب الأسوأ.

تقوم فرضية الإدارة الأمريكية على أن الجماعات الإسلامية المتشددة مثل تنظيم القاعدة و "داعش" تشكل تهديداً أكبر للولايات المتحدة من إيران، كما يرى البيت الأبيض أن إيران ليست هي المشكلة، بل ربما تكون هي الحل المحتمل للاضطرابات الإقليمية. لهذا السبب، بعد توليه منصبه، مدّ الرئيس باراك أوباما لإيران "يد الصداقة". وهذا هو السبب، وعرضت الولايات المتحدة مساعدات رمزية فقط على المتمردين الذين يسعون للإطاحة بالرئيس السوري بشار الأسد، وهو حليف رئيسي لإيران. وذلك هو السبب في تلميحات الإدارة إلى أنها تريد العمل مع ايران لوقف تقدم "داعش" في العراق.

مما لا شك فيه، أن القاعدة و "داعش" هما أعداء للولايات المتحدة، وهما من أكثر الأعداء خطورة، ولكن هذا لا يجعل من إيران أحد الأصدقاء.

الدول هي أكثر تهديداً من الجماعات الإرهابية، لأن لديها المزيد من الموارد. وإيران ليست فقط دولة راعية قبل كل شيء للإرهاب في العالم، وهي لا تقوم فقط بدعم المتطرفين الدينيين، وإنما تمتلك أيضاً برنامج للأسلحة النووية، وهو ما لا تمتلكه "داعش".

عند توسيع زاوية النظر، تبدو سياسة الإدارة الأمريكية أقل جدوى في سوريا والعراق، و "داعش" هي عدو لأمريكا، وفي نيجيريا هناك "بوكو حرام" وهي جماعة إسلامية متشددة متخصصة بالخطف، بالإضافة إلى جماعات راديكالية أخرى في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يجعل عين البيت الأبيض تبقى مفتوحة.

وفي مصر، فقد أدانت الولايات المتحدة إسقاط نظام الإخوان المسلمين، وعزل مرسي، وفي النزاع الفلسطيني الإسرائيلي تمكنت "حماس" التي تعتبرها الولايات المتحدة منظمة إرهابية من تشكيل ما سمي حكومة الوحدة الوطنية مع السلطة الفلسطينية. وفي ليبيا التي أسهمت الولايات المتحدة فيها بالحرب على نظام القذافي والإطاحة به، هناك صعود للقوى الإسلامية المتطرفة، وحكومة ضعيفة ميؤوس من قدرتها على إدارة البلاد.

إذا اعتقدت الإدارة الأمريكية أن الإسلاميين الراديكاليين هم أخطر عدو عليها، فإنه ينبغي أن تتصرف على هذا النحو، كما ينبغي أن تكون سياستها واضحة بهذا الشأن.

في مايو الماضي، ادعى أوباما بشكل يبعث على السخرية أن "تيار الحرب آخذ في الانحسار". هذا يعني حقاً أن تعليق آماله على إيران يفسر مصلحته الشخصية فيما قاله، والذي يعني أن التورط ضد إيران هو ما ينحسر.

إن الكوارث التي نجمت عن "الربيع العربي" شكلت إرباكاً لنا في أمريكا، كما يبدو أن الشرق الأوسط ينفجر، وقد أهدر وزراء خارجيتنا الكثير من الفرص التي كان من الممكن استغلالها للوصول إلى اتفاق بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وكما كان متوقعاً فقد فشلت الإدارة الأمريكية في تحقيق مثل هذا الاتفاق، وها هي ترى إلى "حماس" تصعد من جديد إلى السلطة.

"القاعدة" و "داعش" أعداء لأمريكا لكن إيران ليست من الأصدقاء

كل الأمور التي تعاملت معها البيت الابيض تبدو أنها قد باءت بالفشل، فالتدخل الليبي استبدال ديكتاتوراً رهيباً بفوضى عارمة يقودها إسلاميون متطرفون، ومصر لم تتحقق فيها الديمقراطية، والطريق فيها ما زالت صعبة.

الجميع يلومون الولايات المتحدة. في سوريا، نظام بشار الأسد قد ضمن بطاقة الفوز، ونحن لم نفعل شيئاً، ولكن فقط قمنا بالإعلان عن الخطوط الحمراء السخيفة – وكما فعل أوباما مرة أخرى مؤخراً – وعد بتقديم المساعدات للمعارضة التي لم تنجز الكثير.

لقد تعاملنا مع أصدقائنا بطريقة مزرية. وقد حاولت الإدارة التفريط بإسرائيل، استثمرت الكثير في تركيا دون مقابل، ونحن نرى الآن الأردن يرتجف على حافة الهاوية. في باكستان، أصبحت طالبان جريئة بما يكفي لمهاجمة مطار كراتشي، وموقفها في أفغانستان يمكن أن يتحسن فقط حين تغادر القوات الامريكية في نهاية العام، ثم هناك انهياراً كبيراً في العراق.

حقوق أو أخطاء حرب العراق ليست ذات صلة: إذا كنت قد انتخب رئيساً للولايات المتحدة، فعليك التعامل مع العالم كما هو. في عام 2011، أعلن أوباما أن الولايات المتحدة. قد خلق "العراق ذو السيادة والإستقرار والاعتماد على الذات". لم يكن ذلك صحيحاً، وهذا ليس صحيحاً اليوم.

إنها مذلة للولايات المتحدة، خاصة عندما تكون إجابة أوباما على كل ما يحدث هو أنه علينا أن نعمل مع الايرانيين. هذا هو الجواب الخطأ على السؤال الخطأ، فإيران ليست الجواب: هي جزء من المشكلة. والسؤال ليس كيف يمكننا توكيل مهمة الدفاع عن مصالحنا للآخرين، بل كيف لنا أن نسحب أنفسنا من مصارف الشرق الأوسط الذي يغوص في الرمال.

الختان على الطريقة الداعشية

■ حكم عاقل

تُعرّف منظمة الصحة العالمية "الخفاض" بأنه عملية تتضمن إزالة جزئية أو كلية للأعضاء التناسلية الأنثوية دون وجود مبرر طبي، بل لأسباب ثقافية. وترى "اليونسيف" أن أكثر من 125 مليون امرأة في العالم تأثرن ببتر أجزاء من جهازهن التناسلي، ويدخل سنويا إلى الإجمالي 2 مليون امرأة.

ومنذ العام 2008 ، أي بعد إنشاء البرنامج المشترك بين صندوق الأمم المتحدة للسكان ومنظمة "اليونسيف" بشأن ختان الإناث، أقلع عن هذه الممارسة 100 ألف من المجتمعات المحلية في 15 بلدا أي حوالي 8 ملايين فرد. لكن حتى الآن لم يتم القضاء على هذه العادة الاجتماعية. ويعتبر ختان الإناث انتهاكا لحقوق الإنسان الخاصة بالفتاة والمرأة. إذ يعكس انعدام المساواة المتأصل بين الجنسين، ويشكل صورة مفرطة للتمييز ضد المرأة. وتنتهك هذه الممارسة حق الشخص في التمتع بالصحة والأمن والسلامة البدنية. ويجرى ختان الإناث عادة بدون مخدر، لذا يمكن أن تترتب عليه عواقب صحية تدوم مدى الحياة، ناهيك عن حرمان المرأة من الوصول إلى النشوة الجنسية.

تتركز هذه العادة في معظم دول إفريقيا وبلدان في آسيا، منها بلدان عربية عدة، وأجزاء من إيران. وترتفع هذه النسبة في مصر إذ تجاوزت 90%، وتقدر في اليمن بحوالي 23%. لكنها بلغت نسبة مرتفعة في كردستان العراق بلغت 60% ، قبل أن يقر البرلمان قانون حظر هذه العادة. بينما بلغت في باقي مناطق العراق فقط 8% وتركزت في مجتمعات معزولة.

في رمضان من العام الماضي، أصدر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام " داعش" في مدينة حلب فتوى توجب "خفاض" النساء، وأعتبر بيانها أن هذه الفتوى هي مكرمة من الخليفة أمير المؤمنين، وتطبيقاً للدين الحنيف، وخوفاً من انتشار الفسق والرذيلة في المجتمع الإسلامي.

استندت الفتوى أساساً إلى بعض الأحاديث النبوية، منها حديث أم عطية، التي روت أن امرأة كانت تختّن بالمدينة، فقال لها النبي(ص): "لا تنهكي، فإن ذلك أحظى للزوج وأسرى للوجه". وكذلك استندت إلى ما يسمى حادثة ختان الجواري، فعندما هاجر النساء كان معهن أم حبيبة، فلما رآها الرسول (ص) قال لها: "يا أم حبيبة هل الذي كان في يدك، هو في يدك اليوم؟". فقالت: "نعم يا رسول الله، إلا أن يكون حراماً فتنهاني عنه"، فقال: "بل هو حلال فادني حتى أعلمك". فدنت منه فقال: "يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكي، فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج". ومعنى لا تنهكي أي لا تبالغي في القطع والخفض.

أما حديث أبي هريرة حول هذا الموضوع فيرد أيضا في تلك الفتوى، حيث يروي أنه (ص) قال: "يا نساء الأنصار اختفضن (اختتنّ) ولا تنهكن".

لم تمضِ أيام قليلة على الترحيل القسري لآلاف المسيحيين من مدينة الموصل بعد أن خيرتهم "داعش" بين الإسلام والجزية والقتل، حتى تداول

الموصليون في رمضانهم هذا مذعورين فتوى مشابهة لتلك الفتوى الرمضانية في حلب العام الماضي. وقد أعلنت الأمم المتحدة أن جهاديي تنظيم الدولة الإسلامية أمروا بختان كل النساء التي تتراوح أعمارهم بين 11 و46 سنة. وقدرت جاكلين بادكوك المسؤولة الثانية للأمم المتحدة في العراق، أن ذلك يعني حوالي 4 ملايين امرأة.

تعود "داعش" لتلك الممارسة القديمة في ختان الإناث (الخفض) رغم تباين المواقف الفقهية حولها. فكل الفتاوي المشابهة بررت هذه الممارسة استناداً إلى الأحاديث النبوية إذ لا وجود لنص قرآني صريح بوجوبها. لكن بعض المفسرين وجدوا في الآية القرآنية: ((ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) (النحل: 123)، حكماً يقضي بوجوب الختان على اعتبار – كما ينقل كلا من البخاري ومسلم– أن ابراهيم اختتن وهو ابن ثمانين سنة، فالختان جزء من هذه الملة، والذي هو أيضا عودة للفطرة الإنسانية السليمة:" الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر" (متفق عليه).

ومن المعروف أن عادة ختان الذكور هي عادة قديمة تمتد إلى ما قبل اليهودية. ويفهم من حديث أم حبيبة أن عادة ختان المرأة (الخفض) وجدت قبل الإسلام عند عرب شبه الجزيرة العربية، حيث يبدو أنها كانت تقوم بختان النساء، ولذلك سألت الرسول حول إذا ما كان بإمكانها المضي في ذلك أو الكف عنه.

ويتفق الفقهاء حول مشروعية ختان الذكر وخفاض الأنثى، لكنهم يختلفون حول وجوبه، فقال أبو حنيفة ومالك أنه مسنون في حقهما وليس واجباً وجوب فرض، لكن يأثم بتركه تاركه، ورأى البعض أنه عند المالكية في مرتبة بين الفرض والندب. أما الشافعي فرأى أنه فرض على الذكور والإناث. اما أحمد ابن حنبل فأوجبه على الذكور، لكن حول رأيه في خفاض الأنثى روايتان، ذهبت إحداهما إلى أنه مكرمة، والأخرى الى أنه واجب.

ولا زال الخلاف الفقهي حول الخفاض قائم إلى اليوم، فقبل سنوات صدرت فتوى عن شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي، بتحريم عمليات ختان الإناث، بعد التشكيك في الأحاديث النبوية التي تحث على هذا الأمر، ووصف أسانيدها بالضعيفة، وأنها عادة فرعونية ويهودية قديمة، ورأى أن أهل الذكر هنا هم الأطباء، وبالتالي علينا أن نسألهم وأن نقر بما يتوصلون إليه، في إشارة إلى الآية ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) (النحل: 43). إلا أن جبهة من علماء الأزهر هاجمت الطنطاوي المشكك في شرعية الختان، وطالبت بإعادة نشر الكتاب الذي أصدره شيخ الأزهر السابق الشيخ جاد الحق علي جاد الحق عام 1994، والذي يؤكد صحة الأحاديث النبوية بشأن شرعية إجراء الختان للأنثى، وأن أسانيدها صحيحة وقوية ولا تقبل الشك، وأن الرسول شرّع الخفاض للأنثى والختان للذكر.

بالعودة إلى الفتوى الداعشية، سنجد أنها مستمدة حرفياً من فتوى الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، الذي رأى بعد سوق الأدلة الشرعية أن "هذا التوجيه النبوي إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسي عند الفتاة، فأمر بخفض الجزء الذي يعلو مخرج البول، لضبط الاشتهاء، والإبقاء على لذات النساء، واستمتاعهن مع أزواجهن، ونهى عن إبادة مصدر هذا الحسن واستئصاله، وبذلك يكون الاعتدال، فلم يعدم المرأة مصدر الاستمتاع والاستجابة، ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار، وعدم القدرة على التحكم في نفسها عند الإثارة"!!

الياس مرقص في سيرته الفكرية:

حذر من خطر المثقف المملوكي وعودة البشرية إلى العبودية

■ هيفاء بيطار

ليس من السهل إيجاز كتاب من القطع الكبير وعدد صفاته 850 ، والأهم أن كاتبه المفكر والفيلسوف السوري الياس مرقص، وفي الواقع هذه السيرة الفكرية هي سيرة شفهية سجلها الراحل على أشرطة كاسيت تزيد عن 64 شريطاً، وهو على فراش المرض (سرطان البنكرياس)، إذ صار من الصعب عليه الكتابة، فقام عدد من أصدقائه بتسجيل أفكاره، وخاصة السيد طلال نعمة، ولكن تم تفريغ وكتابة هذه الأشرطة بعد سنوات طويلة من تسجيلها، وصدرت الطبعة الأولى عن دار "الحصاد" نهاية عام 2012 وبعدد محدود جداً ، وكان لي الحظ أن أحصل على نسخة من الكتاب بحكم صداقتي مع أسرة الياس مرقص .

أن تقرأ لمفكر من وزن الياس مرقص يعني أن تستنفر كل قواك، وأن تبقى بحالة استعداد تام ، وأن تقبل سلفاً الهزيمة، بمعنى ألا تتمكن من مجاراته في أفكاره وثقافته الموسوعية ، تشعر وأنت تقرأ له أنه يُحرك التاريخ ، ويقلقل تلك الأفكار والمُصطلحات التي اعتدنا على تداولها من دون أن نتوقف ونتفحصها .

أهمية السيرة الفكرية هي في المواقف الجريئة التي أطلقها الياس مرقص تجاه حركة التاريخ وحراكه، وما يكتنف هذه الحركة من عودة للتعصب والجهل.

يقول الياس مرقص : لا شك أن البشرية اليوم تقف أمام أكبر مفترق في تاريخها ، إن النهاية لقادمة ، إما أن تكون نهاية تقدم وحضارة ونظام اجتماعي بالكامل ، أو نهاية النوع البشري . البشرية مُخيرة ونملك رجاء بأن تستطيع البشرية أن تعبر هذا المُفترق، وغرضي أن أقدم تجربتي للقارئ العربي، ومن حق الشباب العربي أن توضع بين أيديهم السير الذاتية الفكرية لمفكرين . إن ما حصل في تاريخ البشرية في الستين سنه الأخيرة هو شيء خطير، هو عكس ما أرادته البشرية . القنبلة الذرية تروع الناس.

يؤمن الياس مرقص بوجود سلاح وحيد يملكه الإنسان هو الفكر ، أو العقل إن شئنا ، وعلى العالم أن يتجه أكثر فأكثر إلى إنتاج الذكاء ، وأن تكون المناهج التعليمية تميل إلى تحريض التفكير والإبداع لدى الأجيال الناشئة بدل التلقين ، ويقول : لو كانت برامج التعليم بيدي في العالم العربي لجعلت كل المواد التعليمية من الابتدائية إلى الجامعة مُجيرة لقضية واحدة : الفكرة والتحليل .

يؤمن الياس مرقص أن الحرب العالمية الثانية لعبت دوراً كبيراً في مراهقته، وأن تزامن تلك الحرب من 1939 إلى 1945 كان نعمة رمزية في تربيته وتكوينه وسلوكه . وكان مُتعاطفاً مع معسكر الديمقراطية ضد معسكر الفاشية والنازية، وهذا ما بقي مُصراً عليه طوال حياته "لا أتحمل أية نظرية عنصرية ، ولستُ مُحباً ومُحترماً للقوة، وإذا كانت الدولة كبيرة وقوية فلا يعني هذا أن أصفق لها لأنها كبيرة وقوية . لا أبداً ، إن عواطفي مع الضعيف ، أعرف أن في عالمنا العربي وربما في كل بلاد العالم أن الكثيرون شيوعيون أو كانوا شيوعيون على أساس أن الاتحاد السوفيتي أقوى دولة في العالم ، وأقوى جيش في العالم . هذا أمر لم يكن له شأن بنظري ، لا أريد الاشتراكية عن طريق الجيش السوفيتي ولا أريد الاشتراكية عن طريق القوة . لدي حس عدالة قوي وكنتُ ألتهب حماسة حين أقرأ لجان جاك روسو في وصفه المجتمع الشيوعي البدائي : الثمار للجميع والأرض ليست لأحد" .

في سنة 1946 أرسل الياس مرقص في منحة دراسية إلى بلجيكا ويقول : أن كل طلاب البعثة اختيروا لكفاءتهم فقط ، ولم يكن هناك أيه واسطة حتى لابن رئيس الجمهورية ولا لابن المحافظ ولا لابن القوتلي. وفي بلجيكا رُفض كطالب فلسفة لأنه لم يكن يعرف اللاتينية واليونانية وقُبل في قسم التربية والعلوم الاجتماعية ، وسحرته مادة أو دراسة اسمها : البيولوجيا في علاقتها مع العلوم الاجتماعية ، وتركز تلك المادة على المجتمعات الحيوانية وعلى المجتمعات البشرية أو الإنسانية ، ، وللتبسيط نعطي مثالا" : لو سأل أحد ما الفرق بين مجتمع الطيور أو الغزلان أو أي حيوان وبين المجتمع الإنساني ؟ لكان الجواب بإيجاز بأن المجتمع الحيواني هو ابن الطبيعة أما المجتمع الإنساني هو ابن التاريخ ، إن الإنسان بدأ مُفترساً ثم تطور وصار إنساناً . لكن الياس مرقص لم يُبهره الفكر الغربي ولم يصبح تابعاً له ، رغم اعترافه بعظمة الفلاسفة الغربيين وتنويرهم لعقله ، لكنه كان مفتوناً بفكر المعتزلة ويعتبر تفكيرهم قمة الحرية الفكرية والعدالة في الدين الإسلامي ، ويعبر عن أسفه وغضبه حين يقول : للأسف تسعة أعشار المثقفين العرب يتصورون أن مصائب العرب تكمن في عدم قدرتهم على اللحاق بأوروبا ، أنا لا أريد اللحاق بأوروبا ، أريد أن أبني الأساسات ، أن أعمق الأساسات ، هناك من يركض اليوم وراء ميشيل فوكو وجاك دريدا ، هؤلاء يركضون وراء فرع أو وراء ورقة على غصن شجرة ، أنا أريد الشجرة لا الغصن ، أريد الأرض وتهمني الجذور .

لا يرحم الياس مرقص المثقف العربي بل يحمله جزءاً كبيراً من تخلف المجتمعات العربية حين يقول : إذا كنا نريد تطور الشعوب العربية ، فيجب أن نبدأ من المثقفين ، والشيء الذي يجب أن نستبعده هو المثقف المملوكي ، وأقصد بالمملوك السيد العبد أو العبد السيد ، هذا النموذج الذي هو سيد على الضعفاء وسلطان عليهم وعبد أمام القوي .وأستغرب موقف المثقفين اللذين يستغربون لماذا تصيبنا الديكتاتورية والاستبداد والفساد والعنف والكذب والنهب ، كثير من المثقفين العرب يريدون محاسبة أو محاكمة الحاكم الفلاني والديكتاتور الفلاني والحزب الحاكم الفلاني ، لكن من واجب المثقفين العرب أن يتساءلوا وأن يفكروا كما يلي : إن الشر حين يستفحل ويستفحل نراه ونغضب ونصرخ ، لكن الذكي وصاحب المبادئ يتساءل عن بدايات الشر والفساد ، وليس عندما يستفحل .

ينتقد الياس مرقص المفردات التي نستعملها دوماً بطريقة ببغائية وبعيدة عن المنطق ، مفردات تكلست مع الزمن وتجمدت معها :"نحن لم نفحص وندقق في تلك الكلمات حتى ، ثورة يجب أن نصفق ، جماهير يجب أن نصفق ، استعمار يجب أن نشتم ، إمبريالية يجب أن نشتم" .

يخشى الياس مرقص على البشرية أن تعود إلى عهد العبودية ، يخشى أن تحصل انتكاسة في نهاية القرن العشرين، ونعود إلى البربرية الأولى، حيث كان الإنسان يأكل لحم أخيه الإنسان ، لقد لعب الدين والحضارة دوراً رئيسياً في انتشال الإنسان من الحيوانية والبربرية والغريزية ، والعبودية كانت تقدماً كبيراً بالمقارنة مع أكل لحوم البشر "بحسب مرقص" . وقد قامت حضارات كثيرة على الرق والأضاحي البشرية ، إلى أن وصلت البشرية إلى الديمقراطية والتحدث بحقوق الإنسان ، لكن ما يحصل اليوم مُرعب ومخيف، إن البشرية على مُفترق طرق في مصيرها ومستقبلها .

فلســـــــــــطين في مكاييل الإعلام العربي

■ فيكتوريوس بيان شمس

ينقسم الإعلام بما هو أهم أجهزة الأدلجة السياسية إلى عدّة نماذج، يُعبّر كل واحد منها عن رؤية مرجعيته السياسية لهذا الحدث أو ذاك. فمن إعلام رسمي، إلى إعلام خاص متنوّع كالموجود في لبنان مثلاً عبر كل مراحله السياسية منذ بدايات تشكّل هذا البلد أوائل القرن الماضي والمراحل التي تلته إلى يومنا هذا، بسبب من مساحة الحرية الأوسع والتي سمحت بوجود تيارات سياسية وثقافية متعدّدة بشكل ملفت، كان الإعلام في كل هذه المراحل خير معبّر عنها.

مساء الأثنين 2014/7/21 وحّدت كل قنوات التلفزة اللبنانية نشراتها بمقدّمة صاغها الأستاذ طلال سلمان رئيس تحرير جريدة "السفير"، تحت عنوان مركزي: "فلسطين.. لستِ وحدك"، فكان الحدث سابقة حقيقية، استطاعت أن تكون بحد ذاتها حدثاً إعلامياً في غاية الأهمية.

إلا أنّها أهمية تُخفي الكثير، فكل قناة من هذه القنوات تتبع فريقاً سياسياً من الأفرقاء المتطاحنين منذ سنوات، ومن بين أسباب هذا التطاحن مسألة المقاومة بحد ذاتها. تاريخ بعض هذه القوى متناقض تماماً مع الخطوة الإعلامية الأخيرة، ربّما خير مثال على ذلك ما حدث قبل (11) يوماً بالضبط من توحيد البث، عندما وسمت قناة (Mtv) خبر تغطيتها للحرب الإسرائيلية على غزة بـ "الحرب على إسرائيل". كانت الفضيحة مدوية، وكانت حديث الساعة بين الناس وعلى مواقع التواصل الاجتماعي. خاصة وأن لبنان الذي أنتج أبرز ظاهرة مقاومة في المشرق العربي، والتي كانت في مراحل سابقة تتكامل مع المقاومة الفلسطينية. أوجدت فيه "اسرائيل" بالمقابل أبرز ظواهر العمالة والخيانة بحكم احتلالها لأجزاء منه في أزمنة مختلفة، مثل ظاهرة "جيش لبنان الجنوبي"، لا بل وصلت الأمور لأن تنصّب فيه رؤساء.

في المقابل، كان لافتاً في هذا الحدث الإعلامي، مشاركة قناة "المنار"، وهذا ما يطرح عدّة أسئلة: هل كفّرت (Mtv) عن ذنبها عندما توحّدت لنصف ساعة مع قناة "المنار" التابعة "لحزب الله"؟ هل عبّر الإعلام اللبناني بهذه الخطوة عن موقف سياسي موحد للمرجعيات السياسية التي تتبع لها هذه القنوات، أم أن المسألة مسألة استعراض عارض يُنضّد المواقف ويطمسها ببعضها ليس أكثر؟ هل يستطيع المشاهد اعتبار هذه الخطوة –على أهميتها– عملية تقريب بين متناقضَين في مسألة مركزية واحدة، هي المسألة الفلسطينية؟.

ناهيك عن أسئلة كثيرة تطرح نفسها بعد الظهور المفاجئ للمذيعة ديانا فاخوري سافرة على "المنار"، هذه القناة التي رفضت في فترات سابقة عرض أغنية "أحبّائي" للمغنية جوليا بطرس بسبب سفورها في "الفيديو كليب" الذي صوّر بعد العدوان "الإسرائيلي" على لبنان 2006، وهي الأغنية التي استخدمت فيها كلمات من أحد خطابات حسن نصرالله. هذا يطرح الآن سؤالاً: هل غيّرت القناة سياستها الإعلامية بعد هذا الحدث؟ هل سنرى جوليا بطرس على شاشتها؟ أم أن الحدث عارض، تعتبر فيه فلسطين استثناء يستطيع فرض نفسه على التأويلات والفتاوى الدينية؟.

إذا كان لفلسطين هذه الأهمّية بالفعل، لماذا لم يفتح "حزب الله" ، الذي يعيش على إرث الماضي المقاوم، جبهة الجنوب مع العدو، وهي فرصة تاريخية، على الأقل لضرب مفاعيل القرار الدولي 1701؟. هذه الخطوة التي لو خطاها "حزب الله" لكان أكثر صدقاً في تذرّعه بفلسطين لشن حربه الطائفية على الشعب السوري.

لكن في المقابل، من يراقب الإعلام العربي خارج لبنان، يرى الويلات. فما يحدث بمصر، مختلف عمّا يحدث في لبنان، ربّما لأن لمصر خصوصية تتعلّق بالحمل الثقيل لمعاهدة "كامب ديفيد" التي لم تستطع التخلّص منها إلى اليوم. في مصر، يُعبّر الإعلام عن التطاحن القائم منذ "ثورة يناير" 2011 وما تلاها من محطّات مفصلية بشكل واضح لا يقبل الجدل. ففي مرحلة أولى تعتبر سابقة في الإعلام المصري، وربّما العربي على الإطلاق، هاجم بعض الإعلاميين جميع المقيمين واللاجئين من أبناء الشعبين الشقيقين السوري والفلسطيني بذريعة مساندتهم لتنظيم "الإخوان المسلمين" أثناء ثورة "2013/6/30"، ووصلت الأمور ببعض الإعلاميين لتهديدهم بالطرد والتحريض على قتلهم، لا بل والتعرّض لكرامات نسائهم في ظل سكوت متوقّع من إعلام النظام السوري على ذلك. ساهمت هذه الهجمة في تأجيج جزء من الشارع المصري ضد هؤلاء، لولا وقوف بعض الإعلاميين المصرين موقفاً معاكساً شجاعاً، ضد محاولات تغريب الإعلام المصري عن واقعه العربي وهموم شعوبه.

لكن الهجمة تجدّدت بشكل مؤسف بالتزامن مع العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني للدرجة التي سمحت لبعض وسائل الإعلام الإسرائيلية أن تعنون صفحاتها ونشراتها بعبارات مخجلة كما فعل موقع "واللا" العبري في تعقيبه على مناصرة المذيع المصري توفيق عكاشة الذي دعا "إسرائيل" صراحة للقضاء على الشعب الفلسطيني: "الخطاب المذهل للمذيع المصري المؤيّد لإسرائيل". ربّما تفاجأ العدو أكثر بكثير ممّا تفاجأ العرب بهذا النموذج الذي لم يحظَ العرب بمثله من الجانب الإسرائيلي طوال فترة الصراع معهم.

بين هذين النموذجين من الإعلام، هنالك نموذج ثالث أكثر ارتباكاً، يعمل على تزوير الواقع حيناً، و تغييبه حيناً آخر، كما يفعل إعلام النظام السوري الذي أغفل منذ البدء إلى اليوم أسباب ثورة الشعب السوري بعمل حثيث على تزوير الواقع المعاش، لتصدير رؤيته المفضوحة عن صراعه مع منظّمات أصولية شارك بصناعتها. لكنه لا يترك فرصة، إلا ويعبّر فيها عن تضامنه مع القضية الفلسطينية.

لا يمكن إغفال أثر الإعلام، أو فصله عن واقعه، فعبارة: "من دمشق... هنا القاهرة"، والتي صدحت بها إذاعة دمشق عشية العدوان الإسرائيلي على هوائيات الإذاعة المصرية في عدوان 1956، كانت تعبّر بصدق ليس عن تلك اللحظة فقط، بل عن كل لحظات الصراع مع العدو، ومازال صداها يُسمع إلى اليوم.

هدنة إنسانية في غزة وإسرائيل تسعى إلى «قص عشب» حركة «حماس»

غزة، وكالات:

بدأت يوم أمس السبت هدنة إنسانية لمدة 12 ساعة بعد موافقة إسرائيل والنشطاء الفلسطينيين في قطاع غزة على طلب من الأمم المتحدة بوقف القتال، واستكمال جهود للتوصل إلى وقف لإطلاق النار طويل الأمد.

وقالت وزارة الصحة في قطاع غزة إن 18 فرداً في أسرة واحدة قتلوا في قصف إسرائيلي بالدبابات بجنوب القطاع قبيل بدء الهدنة في الساعة الثامنة صباحاً بتوقيت غزة. وقالت متحدثة باسم الجيش الإسرائيلي إنها تتحقق من التقرير.

وأعلن الجيش الإسرائيلي أنه سيوقف إطلاق النار لمدة 12 ساعة، لكنه سيستمر في البحث عن أنفاق يستخدمها النشطاء الفلسطينيون. وقال متحدث باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي تسيطر على غزة إن كل الفصائل الفلسطينية ستلتزم بالهدنة القصيرة.

ونزل مئات الفلسطينيين إلى الشوارع فور بدء سريان الهدنة، وتوجه البعض إلى منازلهم سيراً على الأقدام لتفقد الضرر الذي ألحقته الهجمات الإسرائيلية، كما اصطف الكثيرون أمام البنوك لسحب النقود وتخزين الإمدادات.

وكان القتال مستمراً بينما كان وزير الخارجية الأمريكي جون كيري الذي يزور المنطقة يقود جهوداً دولية للإنهاء صراع مستمر منذ 19 يوماً، وقتل فيه 883 فلسطينياً معظمهم مدنيين.

وقالت إسرائيل إن جنديين آخرين من جنودها قتلا في غزة ، ما يعني أن عدد قتلى الجنود الإسرائيليين ارتفع إلى 37 في المعارك بين القوات ونشطاء في شمال وشرق وجنوب قطاع غزة حيث يعيش 1.8 مليون فلسطيني.

وأعلنت إسرائيل أيضا أنها علمت مصير جندي كان فقد في كمين في غزة قبل ستة أيام، وقالت إنه قتل، لكن لم يتم العثور على جثته.

وقتل ثلاثة مدنيين أيضا في إسرائيل بسبب الصواريخ التي تطلق من غزة في تصعيد لهذه الهجمات الشهر الماضي في ظل غضب "حماس" من حملة الاعتقالات التي استهدفت نشطاءها في الضفة الغربية، مما أدى إلى إعلان إسرائيل عن بدء عملية عسكرية في غزة في الثامن من يوليو/ تموز الجاري.

وقال مصدر حكومي إن إسرائيل رفضت يوم الجمعة الماضي مقترحات دولية لوقف إطلاق نار ممتد، لكن كيري قال في كلمة بالقاهرة انه لم تطرح مقترحات رسمية بعد.

وقال كيري إنه لا تزال هناك خلافات بشأن المصطلحات، لكنه عبرّ عن ثقته في إمكانية التوصل لإطار سينجح في نهاية المطاف قائلاً إن "تقدماً جدياً" تحقق، لكن لايزال هناك حاجة لمزيد من العمل.

وتريد حماس رفع الحصار المصري الإسرائيلي على غزة قبل الموافقة على وقف القتال. ويقول مسؤولون إسرائيليون ان أي وقف لإطلاق النار ينبغي أن يتيح لإسرائيل أن تواصل استهداف شبكة الأنفاق التي تبنيها "حماس" والتي تعبر حدود قطاع غزة.

وتقول إسرائيل إن بعض الأنفاق تصل إلى داخل أراضيها، وتهدف لشن هجمات ضد إسرائيليين، كما تستخدم بعض الأنفاق كمخابئ للأسلحة ومستودعات ل"حماس".

وأججت المحنة في غزة التوتر في القدس الشرقية والضفة الغربية المحتلة.

ويقول مسعفون إن ثمانية فلسطينيين قتلوا في حوادث قرب مدينتي نابلس والخليل يوم الجمعة الماضي، بينها حادث إطلاق نار ألقى شهود مسؤوليته على مستوطن يهودي.

وخرج عشرة آلاف متظاهر مساء يوم الخميس الماضي في مسيرة تضامن مع غزة قرب رام الله العاصمة الإدارية للسلطة الفلسطينية، وتقدم المحتجون باتجاه نقطة تفتيش للجيش الإسرائيلي، وألقوا الحجارة والزجاجات الحارقة، وقال مسعفون فلسطينيون إن شخصاً قتل بالرصاص، وأصيب 200 عندما فتحت القوات النار.

ودعت منظمة التحرير الفلسطينية لمزيد من المظاهرات في الضفة الغربية، وقالت إنها تعمل في الوقت ذاته لتأمين وقف لإطلاق النار.

ورأت تحليلات غربية عدة أن حماس تسعى إلى فك الحصار المصري الإسرائيلي عن غزة، وضمان حرية انتقال البضائع، وحرية العبور من وإلى غزة.

وفي سياق تقدير قدرات "حماس" رأت تلك التحليلات أن الصواريخ التي أطلقتها تجاه إسرائيل لا تشكل تهديداً جدياً لإسرائيل، كما أن الوضع العربي العام لا يسمح بمضي "حماس" نحو مواجهة مفتوحة مع إسرائيل، وبالتالي فإن أهداف "حماس" محدودة ومحددة في الوقت نفسه، وهو ما عبرّ عنه الزعيم السياسي للحركة خالد مشعل في مقابلة أجريت معه مؤخراً أن حماس ستقبل وقف إطلاق النار فقط إذا اشتمل الاتفاق على التزامات طويلة الأجل لتحسين "حقوق الشعب الفلسطيني".

أما إسرائيل، فمن جهتها هي الأخرى، ووفقاً لتقديرات بحثية عديدة، لا تهدف إلى القضاء على حركة "حماس"، وأنها نظراً إلى تجربة 2006 مع حزب الله اللبناني تدرك أنه من الصعب إنهاء حركات المقاومة، لكنه ينبغي على الدوام إبقاء قدراتها محدودة التأثير على الأمن الإسرائيلي، وهو ما يعرف بعمليات "قص العشب"، أي عدم السماح لحركات المقاومة بتطوير قدراتها، أو الاستفادة من ظروف معينة لتغيير المعادلات بشكل مؤثر على إسرائيل.

كما أكدت بعض التحليلات على أن ما سمي "نجاح حماس" هو جزء من رؤية حركات المقاومة عموماً لفكرة النجاح، والتي تعني غالباً الصمود أطول فترة ممكنة أمام العدو، وخلط الأوراق، بما يسمح بتحسين موقعها التفاوضي.

من جهة أخرى، فإن التوقعات بوجود هدنة طويلة بين "حماس" وإسرائيل لا تبدو بالنسبة لمعظم التحليلات واقعية، فهكذا هدنة إن حصلت ستعني حل الكثير من المشكلات الجذرية بين الطرفين، وهو أمر غير وارد، ولا توجد له أسس عملية، كما أنه لا توجد أوراق ضغط كافية على إسرائيل للقبول بهدنة طويلة الأمد بشروط تفرضها "حماس".

الحداثة ومكوناتها في مرآة الضرورة العربية

■ د. عبد الله تركماني (*)

بورتريه للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت

تشغل الحداثة حيزاً مهماً في الخطاب العربي المعاصر، حيث تختلف وجهات النظر، وتتعارض المفاهيم والمصطلحات، وتتنوع المقدمات والنتائج. ولعلّ الأمر الأكثر إثارة للقلق هو الارتكاس بالوعي العربي إلى مقولات قرون سابقة، تدور حول الغرب وحضارته وثقافته وفكره وموقعنا من هذه الحضارة والثقافة والفكر، حيث يستعاد الموقف القائل بـ «عدوانية الغرب» و«بربرية حضارته»، إلى جانب مقولة التفوق الروحي والإنساني الذي اختصت به ثقافتنا وفاقت فيه مادية الغرب ووحشيته. هكذا يتم التخلّي عن مقولات النهضة العربية الحديثة، لا بالتقدم إلى ما بعدها بل بالارتكاس إلى ما قبلها، ما يشكل في حد ذاته تعبيراً مأسوياً عن إحباط التنوير والحداثة في عالمنا العربي المعاصر.

وأمام هذا الارتكاس إلى عصور التأخر نتساءل: إذا كان المشروع التحديثي العربي قد تعثر ولم يتمكن من بلوغ أهدافه، فهل لا تزال الحاجة قائمة إليه، في عصر تجاوز العالم حقبة الحداثة ذاتها، ودخل إلى أفق جديد مختلف السمات والقسمات ؟ وهل يتسنى للعرب ولوج العصر الجديد، عصر العولمة وما بعد الحداثة، دون المرور بمرحلة الحداثة التي فشلوا في الوصول إليها ؟

يشير مصطلح الحداثة إلى مرحلة تاريخية طويلة نسبياً، بدأت في أوروبا الغربية منذ أواخر القرن السادس عشر وتميزت في القرن السابع عشر بسلسلة من التغيّرات الكبيرة والعميقة، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وشملت بشكل متداخل ومتفاعل عملياً مجالات البحث والمعرفة العلميين والتطبيق التكنولوجي وأشكال ومؤسسات الحكم السياسية والمدنية والتشريعية والقانون والمعاملات التجارية، وذلك في إطار عمليات بناء الدول الوطنية الحديثة وتزايد سلطاتها مع تزايد مساحات الحرية والمسؤولية الفردية أيضاً.

وفي هذا السياق تكفي الإشارة إلى المحطات الأساسية في الفكر الغربي الحديث، التي هي فكر ديكارت الذي دشن نظرياً عصر الحداثة، وفكر كانط الذي بلور نقدياً ديناميكية الأنوار، وفكر هيغل الذي صاغ مفهومياً لحظة اكتمال الحداثة في نموذج الدولة الحديثة.

إنّ الحداثة ليست ترفاً فكرياً، بل هي تطبيق منهجية عامة للتحليل وطريقة في التفكير، وهي لا تحضر وتغيب بحسب أنواع الأحداث أو علاقاتنا العاطفية بها. وعصر الأنوار يحيل إلى هذه الظاهرة الفكرية، الواسعة الانتشار، التي عرفتها أوروبا في القرن الثامن عشر، حين تم التأكيد على أولوية الإنسان ودعم استقلاله وإرادته، ورفعه إلى مستوى يكون فيه مرجع سلوكه، والقاعدة المعيارية لممارسته الاجتماعية.

لقد شكل عصر الأنوار قاعدة التفكير للحداثة كلها، إذ كان الفضاء الذي قام على أربعة محددات:

1 – العقلانية، باعتبارها البحث المستمر في المعايير التي تقاس بها صحة الاستراتيجيات التي تصوغها الجماعات، أو تسعى إلى صياغتها من أجل إحراز التقدم ومسايرة التاريخ، وتحسين مردودية الجهد الإنساني ورفع فعاليته.

2 – التاريخانية، أي أنّ الحداثة قامت على معقولية التحول، وأفضت إلى تصور حركي للمجتمع، يحدد مراحل لنموه وتطوره، وهو نمو يخضع لمعيار التقدم.

3 – الحرية، كأرضية تعيّن شرعية السلطة، وتؤكد حق الإنسان في تقرير شؤونه المدنية، دون إكراه أو قيد.

4 – العلمانية، أي فصل السلطة السياسية عن المؤسسة الدينية، وفي مقابل ذلك الانطلاق من الإنسان كمفهوم مرجعي للممارسة والسلوك الأخلاقي والسياسي. وهي تجد مرتعها الخصب في إطار من الديمقراطية، التي تمارس عقلانياً وتنويرياً، وذلك على نحو تغدو فيه الديمقراطية والعقلانية والتنوير أحد أوجه العلمانية وصيغة من صيغ التحفيز عليها.

وعندما تطرح العلمانية، بمعنى عدم تدخل الدولة في الشؤون الدينية لمواطنيها وبحيث تكون المواطنة هي أساس العلاقة بين الدولة والمواطن، فإنها أقرب لأن تكون مفهوماً سياسياً، يشكل ضمانة أكيدة للمساواة ولتلاحم المجتمع، حيث تكون العلاقة بالوطن والدولة علاقة سياسية، وليست علاقة دينية قد تحد من المساواة السياسية بين أصحاب الديانات المختلفة.

إنّ الكثيرين في العالم العربي لا يدركون تماماً ماهية العلمانية هذه ومدى أهميتها من أجل بناء مجتمع ديمقراطي على مستوى تحديات العصر. ولعل السبب في رفضهم العلمانية هو أنهم يخشون أن تكون مرادفاً لمعاداة الدين، على أنّ هذا الخلط لا أساس له، بل أنّ العلمانية من شأنها أن تحرر الدين من استغلال السلطة له.

إنّ الحداثة أكثر من أن تكون نتاجاً لمرحلة تاريخية منقضية، وإنما هي أقرب لأن تكون برنامجاً لم يكتمل بعد، ولا يزال قادراً على أن يلعب دوراً إيجابياً في المجتمعات المعاصرة، بما فيها مجتمعاتنا العربية الراهنة، فالحداثة تتضمن انفتاحاً على مستقبل غير مغلق وبلا نهاية، يتميز بإمكانية تحقيق التقدم المادي والروحي والاستقرار الاجتماعي والتحقق الذاتي. على أنّ الحداثة كل لا يقبل القسمة، أو التجزئة، فلا يمكن أن نُقبل على الحداثة في المجال الاقتصادي والتقني ونهمل الحداثة في الفكر والسياسة. وقد يتخذ إنجاز المشروع الحداثي أساليب متنوعة في عالم الممارسة، ولكنّ الأهداف والأسس النظرية لم تتغير.

وهكذا، تتجلى الحداثة في التجربة العالمية المعاصرة بمظاهر ثلاثة هي: فوقية العقل، وكرامة الإنسان، ونسبية المصالح. فالحداثة، كمرجعية عليا تسود المجتمعات المعاصرة، لا تعتبر نفسها مرجعية مطلقة أو معصومة عن الخطأ، إنها تسمح بالعودة النقدية على ذاتها كلما قطعت شوطاً ما لمعرفة أين أصابت وأين أخطأت وكيف يمكن تصحيح الخطأ ومواصلة المسيرة من جديد. وربما لهذا السبب أصبحت المجتمعات الحديثة ديناميكية، تحقق التقدم باستمرار في كافة المجالات، فهي لم تعد ملجومة من قبل ثوابت مطلقة لا حيلة للإنسان فيها، ثوابت لا تخضع للنقاش العقلاني أو المنطقي.

* باحث استشاري في مركز الشرق للبحوث – دبي